أضواء على حياة الصليبيين في بلاد الشام

د. مصعب حمادي نجم(*)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على حياة الصليبيين الذين احتلوا بلاد الشام واستوطنوا فيها مدة تزيد على القرنين من الزمن ، وقد تميزت حياة هؤلاء الغزاة الطارئين بميزات بعضها حملوها معهم من الغرب وبعضها فرضتها طبيعة الحياة الحربية التي كانت محور حياتهم اليومية آنذاك . وقد لاحظ المؤرخون والكتاب المسلمون المعاصرون للأحداث من خلال مشاهداتهم ان عقيدة الصليبيين وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وطرائق عيشهم تختلف عن تلك التي لدى المسلمين فرصدوها وعبروا عن موقفهم منها .

وقد تناول البحث حياتهم من حيث أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم وطبائعهم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم في الأعياد والزواج والقواعد التي كانت تحكمة آنذاك ولباسهم وأزيائهم الى جانب ألعابهم ووسائل تسليتهم . وقد تطرق الى حياتهم العسكرية من خلال تشيد القلاع والحصون لتثبيت أقدامهم ومدى ارتباطهم بالغرب الأوربي واعتمادهم عليه لديمومة الوجود الصليبي في بلاد الشام ، كما رسم البحث صور عن حياتهم السياسية من اعتمادهم على نظام الحكم الورثي الذي عرفوه في اوربا ونقلوه معهم الى الشام وحياتهم الدينية من خلال استيلاء الصليبيين على عدد كبير من المساجد وحولوها الى كنائس بما يخدم اغراضهم الدينية واهتمامهم ببناء الكنائس والأديرة والأسقفيات في البلاد التي احتلوها . وكذلك اوضح البحث طبيعة الحياة الاقتصادية في عهد السيطرة الصليبية على بلاد الشام من حيث مجالات الزراعة والصناعة والتجارة .

ABSTRACT

(*) مدرس. كلية العلوم الإسلامية – قسم الحضارة الإسلامية / جامعة الموصل.

This study aims at highlighting the life of crusades who invaded Syria and settled there for more than two centuries. Crusades' life was characterized by some features. Some of these features were brought by them and some were imposed by the nature of their military life, which represented their own modes of life at that time. Muslim temporary historians and writers noticed – throughout their observations to the events – that the ideology, customs, traditions, behavior of the crusaders and the way of life they lived were different from the Muslims' ones. So, they (historians and writers) observed them and expressed their attitudes towards them.

The study tackled the social life of the crusaders in terms of their races, languages, attributes, nature, manners, garments, dress, traditions - in feasts and wedding ceremonies - norms, their games and their amusement means. The study also touched on the crusaders' military life – represented by constructing castles and fortresses for the purpose of making a link with the West and making their existence in Syria perpetual. The study also discussed the crusaders' political life manifested by monarchy, which they conveyed from Europe to Syria, their religious life –seizing a big number of mosques and turning them into churches serving their religious goals, constructing new churches, monasteries and episcopates in the countries they occupied. The study also manifested the nature of the economic life during the crusaders' domination era on Syria including some aspects like agriculture, industry and commerce.

كانت الحروب الصليبية إحدى حلقات الصراع الطويل بين الشرق والغرب في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين فضلاً عن كونها مواجهة حضارية شاملة بين الحضارة العربية الإسلامية والغرب الأوربي ، وقد اعد الأوربيون كل ما استطاعوا من قوة لهذه المواجهة وتمكنوا خلال المرحلة الأولى منها من أن يستقروا في أجزاء من بلاد الشام وأن يؤسسوا أربعة كيانات سياسية لهم تمثلت في امارة الرها، وانطاكيا، وطرابلس، ومملكة بيت المقدس الصليبية ، وظلت هذه المستعمرات تستقبل الجموع الصليبية التي كانت تتوافد من وراء البحار ، وعلى الرغم من أنهم عاشوا في بلاد

الشام لمدة طويلة تمتد الى ما يقارب قرنين من الزمن وتأثروا بالمحيط الإسلامي من حيث أسلوب حياتهم اليومية وسلوكياتهم الا انهم تمسكوا بمظاهر عديدة تؤكد انتسابهم لثقافة المجتمعات الاوربية وحضارتها التي جاؤوا منها والتي تناولها هذا البحث بشكل مفصل .

ضمت الحملات العسكرية الصليبية جموعاً غفيرة جاءت الى الشرق من دول غربية عديدة تنطق بلغات مختلفة وقد وصف المؤرخ الفرنسي فوشيه الشارتري الذي رافق الحملة الصليبية الأولى تعدد الأجناس التي شاركت في هذه الحملة قائلاً ((ترى من سمع خليطاً من اللغات في جيش واحد كهذا ، اذا اجتمع فيه الفرنجة [الفرنسيون] والألمان والنورمان والانجليز والاسكتلنديون والطليان والأسبان والبريطانيون والإغريق والأرمن . ولو أراد بريطاني او ألماني ان يخاطبني لما استطعت إجابته او فهم سؤاله ورغم اختلاف ألسنتنا كنا إخوة في محبة الرب))[١]

وقد أدرك المؤرخون والكتاب المسلمون ان هؤلاء الغزاة الصليبيين الذين استقروا في بلاد الشام كانوا خليطاً من أجناس متعددة وشعوب مختلفة ، اذ تحدث العماد الأصفهاني عن بعض الأجناس التي تألفت منها جموع الصليبيين التي احتشدت بعد ان حرر المسلمون مدينة القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م فقال : ((فانشقت مرائر الفرنج وأزاحت سننها عن النهج وقرنصت بزاة البيزانية وتقلصت جناة الجنوية ... وزادت الآم الالمانية وعادت اسقام الفرنسيسية))، وأرسل العماد الاصفهاني كتاباً الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٦ – ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ – ١٢٢٥م) يستنهضه فيه واصفاً له الحشود الضخمة التي قدمت من أوربا في الحملة الصليبية الثالثة للاستيلاء على مدينة عكا ((وليس هذا العدو بواحد فينتجع فيه التدبير وياتي عليه التدمير وانما هو كل من وراء البحر وجميع من في ديار الكفر))[٢].

أما على صعيد اللغة فان هذه الأجناس التي هاجمت بلاد الشام كانت تتكلم بلغات شتى كل حسب المجتمع الذي قدم منه وبهذا الصدد يقول ابو شامة ((حتى انه إذا أسر الأسير أو استأمن المستأمن احتيج في فهم لغته الى عدة تراجم ، فينقل واحد عن أخر ما يقول اول وثالث ما يقول ثانٍ))[٣] وقد كانت الطبقات العليا في المجتمع الصليبي تتكلم

اللغة الفرنسية الوسيطة السائدة في شمال فرنسا والتي جاء معظمهم منها ، على ان تلك اللغة تكلمت بها حتى الاسر القادمة من جنوب فرنسا او التي كانت من أصل الماني[٤].

وقد تطرق بعض المؤرخين والكتاب العرب المسلمين إلى ذكر صفات الغزاة الصليبيين في بلاد الشام وطبائعهم واخلاقهم، فقال بشأنهم ابن منقذ ((وهم لعنهم الله جنس ملعون لايألفون لغير جنسهم))[٥] كما وصفوا بانهم ((شقر كأنما لفحت النار وجوههم... زرق كأنما عيونهم من حديد))[٦] فضلاً عن تشبيههم بالبهائم في قوة التحمل ((سبحان الخالق الباري إذ خبر الإنسان امور الافرنج ، ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لاغير كما في البهائم القوة والتحمل))[٧] كذلك كان الغدر صفة سلبية من صفاتهم فهم قوم لاعهد لهم ولاميثاق ، وقد أكد ابو شامة غدر الصليبيين ونقضهم للعهود وعدم إيفائهم بالتزاماتهم تجاه المسلمين حسب ما تقتضيه مصالحهم اذ انهم ((هادنوا لما ضعفوا ويفسخون اذا قووا))[٨] .

وفيما يتعلق بسيرتهم الأخلاقية هناك بعض الحوادث التي أشارت إليها المصادر التاريخية تدل على ان الصليبيين كانوا قوماً ليس لديهم شيء من النخوة والغيرة حيث يكون الرجل منهم ماشياً هو وامرأته فيلقاه رجل أخر فيأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها والزوج واقف بناحية أخرى ينتظر فراغها من الحديث فإذا طولت أو تأخرت عليه تركها مع المتحدث ومضى[٩] .

أما عن البناء الطبقي للمجتمع الصليبي في بلاد الشام فقد تألف من عدة طبقات الأولى: ضمت النبلاء والفرسان ، والثانية : عامة الصليبيين، والثالثة : التجار الايطاليين هذا فضلاً عن النصارى الشرقيين والمسلمين أصحاب الأرض الأصليين[١٠].

وقد كان للفرسان بحكم دورهم الحربي نفوذ كبير بل تفوقوا في بعض الأحيان على حساب السلطة المدنية التي مثلها الملك الصليبي آنذاك لكونهم الفئة الحاكمة والقوة المقاتلة الأساسية وعلى عاتقهم وقعت مسؤولية حماية الكيان الصليبي في بلاد الشام [١١] وأشار ابن منقذ إلى أهمية طبقة الفرسان ((ولا عندهم تقدمة ولامنزلة عالية الا الفرسان، ولاعندهم أناس الا الفرسان فهم أصحاب الرأي وهم أصحاب القضاء والحكم... فالفارس أمر عظيم عندهم))[١٢].

اما العادات والتقاليد التي مارسها الصليبيون الذين استقروا في بلاد الشام فهي تشمل الأعياد الدينية والمناسبات المدنية التي تتخذ مظهراً اجتماعياً عاماً في الحياة الاجتماعية ، كما تضم العادات المرتبطة بالزواج فضلاً عن الملابس والأزياء . فبالنسبة لأعيادهم الدينية والمناسبات المدنية هي كثيرة ومتنوعة فمن الأعياد الدينية عيد الميلاد ويقصد به الاحتفال بيوم مولد السيد المسيح (عليه السلام) وكان الاحتفال بهذا العيد يتم في كنيسة الميلاد (كنيسة المهد) في مدينة بيت لحم[١٣] كما كان الصليبيون يحتفلون بعيد الفصح في مدينة القدس ، وكان موعد ذلك العيد يوم إفطارهم بعد صيام أربعين يوماً إذ زعموا ان السيد المسيح (عليه السلام) صعد في ذلك اليوم الى السماء ووعدهم بإرسال روح القدس[١٤].

فضلاً عن عيد الشموع Cndlemas الذي كان يحتفل به الصليبيون في الثاني من شباط من كل سنة [١٥] وقد صور الرحالة ابن جبير احتفالهم بذلك العيد عندما كان معهم على ظهر مركب في ميناء عكا ينتظر الإبحار نحو جزيرة صقلية قائلاً ((احتفلوا له في إسراج الشمع ، وكاد لا يخلو احدُ منه صغيراً أو كبيراً ذكراً او انثى من شمعة في يده وتقدم قسيسوهم للصلاة في المركب بهم ، ثم قاموا واحداً واحداً لوعظهم وتذكيرهم بشرائع دينهم ، والمركب يزهر كله واسفله سراجاً متقداً))[١٦].

أما الأعياد والمناسبات المدنية التي استحدثها الصليبيون فكان أبرزها الاحتفال باليوم الخامس عشر من تموز كل سنة بمناسبة ذكرى احتلال مدينة القدس وتدشين كنيسة القيامة ، وكان ذلك العيد قد اقر بمرسوم اتفق عليه كبار القادة الصليبيين سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م ، قضى بان يعد ذلك اليوم يوماً مقدساً تخليداً للاحتلال ، وكذلك الاحتفال بالذكرى السنوية لانتخاب القائد جودفري البويوني Godfrey Bouillon (٤٩٢–٤٩٣هـ/١٠٩٩–١١٠٠م) كأول حاكم صليبي في بلاد الشام[١٧] وقد كان الاحتفال السنوي بذكرى الاحتلال الصليبي للقدس يتم من خلال موكب ديني كبير يقوده البطريرك اللاتيني في وقت مبكر من الصباح يبدأ بالمسير من كنيسة القيامة إلى قبة الصخرة حيث تتوقف الجموع هناك لإقامة الصلاة في الساحة الواقعة بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى[١٨].

وفيما يتعلق بتقاليد الزواج والقواعد التي تحكمه ، اتبع الصليبيون في بلاد الشام القوانين والأعراف المرعية في أوربا التي عدت الزواج سراً مقدساً ومنحة إلهية، فحرمت فصم عرى هذا الرباط الا في حالة ارتكاب الزنا ، وقد كان كل من التكافؤ والموافقة مبدأً اساسياً في قانون الزواج عند الصليبيين، كما قبلوا القاعدة القانونية الرومانية التي حددت سن الثانية عشرة كحد ادنى لزواج الفتاة وسن الثالثة عشرة كحد أدنى لزواج الفتى[١٩] وقد شاهد ابن جبير حفل زواج صليبي في مدينة صور ووصف لنا مظاهر ذلك الحفل وصفاً دقيقاً فقال ((ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها زفاف عروس شاهدناه بصور... وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساءً حتى خرجت وهي في أبهى زي وافخر لباس تسحب أذيال الحرير المذهب ، وعلى رأسها عصابة ذهب وقد حفت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبتها مثل ذلك منتظم ، تمشي فترا في فترا مشي الحمامة أو سير الغمامة))[٢٠].

اما ما يتصل بلباسهم وهيئتهم فقد عاش الصليبيون في بلاد الشام حياة اقرب إلى الرفاهية على الرغم من استمرار الحروب بينهم وبين المسلمين ، فكان الفارس الصليبي في أوقات السلم يرتدي برنساً من الحرير ويضع العمامة فوق رأسه بينما في أوقات الحرب كان يرتدي فوق درعه سترة من الكتان لأجل الوقاية من حرارة الشمس أثناء خروجه للقتال[٢١] أما الجند الصليبيون فكانوا يختلفون عن الجند المسلمين، فثمت إشارة تؤكد ان الجند المسلمين كانوا قد تزيوا بزيهم تمويهاً عليهم كما فعلوا عندما دخلوا عكا إذ ((تصوروا رهباناً ومسحوا لحاهم ... وتشبهوا بهم في كل بزة ... وشدوا زنانير واستصحبوا خنازير))[٢٢] أما النساء الصليبيات فقد اتخذن الاثواب الشرقية الرقيقة المحلاة برقائق الذهب واحياناً بالجواهر وفي الشتاء يرتدين الفراء ويتخذن الحجاب إذا ما غادرن البيوت ليس احتشاماً بل للمحافظة على الطلاء الذي يغطي وجوههن[٢٣].

ومن جانب آخر اتسمت حياة الصليبيين في بلاد الشام بصورة عامة بصبغة عسكرية، لذلك فقد شغلوا المدن المحصنة أصلاً وأضافوا إلى بعضها تحصينات جديدة لضمان أمنهم وحمايتهم، فكانت مدينة صور الواقعة ((في صدر البحر كجزيرة تكتنفها المياه من كل صوب)) من بين المدن المهمة لدولة الاحتلال الصليبي[٢٤] ووصف ابن جبير حصانتها والإجراءات المشددة التي فرضوها على كل من يدخلها فقال : ((فأما

حصانتها ومنعتها فأعجب ما يحدث به وذلك أنها راجعة إلى بابين احدهما في البر والآخر في البحر، ويسترسل ابن جبير فيصف السور الثلاثي الذي يحيط بالمدينة من الجانب البري والبرجين اللذين أقيما من ناحية البحر للإطلال على بابها البحري والأسوار التي تحدق بهذين البرجين والسلسلة التي تعترض بين البرجين المذكورين ... تمنع عن اعتراضها الداخل والخارج ... وعلى ذلك الباب أمناء لا يدخل ولا يخرج الا على أعينهم))[٢٥] .

أما عكا فقد كانت ((قاعدة مدن الإفرنج بالشام ومحط الجواري والمنشآت في البحر كالأعلام)) وليس ذلك فحسب بل قارن ابن جبير بين عكا وصور فقال : ((ولعكا مثلها في الوضع والصفة ، إلا أن الصورية أكمل وأجمل واحفل))[٢٦] .

ومما يجدر ذكره هنا انه بعد احتلال الصليبيين لبلاد الشام وجدوا أنفسهم وسط محيط غالبيته من المسلمين لذا توجب عليهم أن يثبتوا وجودهم وسط ذلك المحيط الإسلامي عن طريق قواتهم المحاربة ومعاقلهم العسكرية ولجؤوا إلى سياسة بناء القلاع والحصون التي أصبحت ضرورة ملحة ، فهي وسيلة رئيسة لحماية الحدود وإدارة الإقطاعيات وإيداع الغنائم والإمدادات والأسرى ، وباستيطان الصليبيين في بلاد الشام أفادوا من المعاقل التي وجدوها كما حولوا بعض الآثار القديمة إلى قلاع ثم تطور الأمر بهم إلى بناء حصون كاملة مستخدمين في ذلك الأيدي العاملة من أرمن وبيزنطيين وأسرى المسلمين[٢٧] .

وقد أثرت طبيعة الاستيطان في أساليب الصليبيين العسكرية ولاسيما أن أولئك الصليبيين تكيفوا مع البيئة الشرقية ووطدوا مركزهم في المنطقة التي حكموها ، فالبناؤون الصليبيون تأثروا بالأبنية البيزنطية والعربية التي شيدوها آنذاك[٢٨] فضلاً عما جاؤوا به من أوربا، فكانت القلاع والحصون التي شيدوها مثالاً للعمارات الحربية الأوربية المأثورة عن القرون الوسطى[٢٩] وهذا يعني أن تنظيم الصليبيين في بناء القلاع والحصون قلما اختلف عما هو عليه في أوربا وأهم مميزات تلك المعاقل تتمثل في قوة الجدران وصلابتها والاحكام البعيدة المدى للموقع على أن مهمتها الرئيسة كانت ذات طبيعة قتالية ودفاعية ليست لأنها

تستطيع أن تمنع دخول القوات المعادية فحسب وإنما لأنها تؤمن ملجأ للسكان وتصبح قاعدة للقيام بهجوم معاكس[٣٠].

وما يعنينا في هذا المجال ان نذكر أهم القلاع والحصون التي أنشاها الصليبيون في بلاد الشام والتي أسهمت في تثبيت أقدامهم . وقد وصف المؤرخون والكتاب المسلمون منعتها وقوة تحصيناتها وصلابة استحكاماتها وتحليقها في الفضاء وصعوبة الوصول اليها او الاقتراب منها ، كقلعة هونين Chateau Neuf التي شيدها الصليبيون في عهد الملك بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤ – ٥١٢ هـ / ١١٠١ – ١١١٨ م) سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦م، فوق مرتفع صخري على الطريق الذي يصل ما بين مدينتي بانياس وصور[٣١] وقد وصفها ابن الاثير بانها من امنع قلاع الصليبيين ومعاقلهم في بلاد الشام[٣٢]، وفي السنة ذاتها تم تأسيس قلعة ارنولد Arnoul Chastel لحماية الطريق التجاري وطريق الحجاج النصارى من يافا الى القدس[٣٣] .

كما شهد عهده ايضاً تشييد قلاع اخرى كقلعة تبنين Toron ، في سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧ م ، فوق جبل بلغ ارتفاعه نحو (١٠٠ م) عن سطح البحر ، على الطريق الذي يربط بين مدينتي بانياس وصور ، وهي مستديرة الشكل ومساحتها التقريبية (٢٥٥٠٠م٢) وعدد ابراجها عشرة[٣٤] وقلعة الشوبك Montreal ، في سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م، في اطراف الشام بين عمان وايلة والبحر الأحمر فوق قمة جبل شاهق بلغ ارتفاعه (١٣٣٠ م) عن سطح البحر، وقد امتازت بإحاطتها بأسوار مزدوجة قوية وأبراج عالية وليس ذلك فحسب بل أحيطت الأسوار الخارجية للقلعة بالخنادق تعزيزاً للدفاعات العسكرية[٣٥].

اما في عهد الملك فولك الانجوي Fulk Anjou ، (٥٢٦ . ٥٣٨ هـ / ١١٣١ . ١١٤٣ م)، فقد شيد الصليبيون قلعة شقيف ارنون Belfort ، في سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩ م ، قرب مدينة بانياس فوق مرتفع بلغ حوالي (٤٥٠ م) عن سطح البحر، امتاز طرازها المعماري باحتوائها على تكوينات معمارية مهمة ، اذ كانت مستطيلة الشكل مؤلفة من قسمين علوي وسفلي وهذا جعلها واحدة من احصن قلاع الصليبيين في بلاد الشام[٣٦].

كما شيدت في عهده قلعة صفد Safed ، التي اقيمت على قمة جبل شاهق تحيط بها تلال وأودية وترتفع حوالي (٨٤٠ م) عن سطح البحر جنوبي مدينة دمشق[٣٧]

وكانت قلعة صفد من اكبر القلاع الصليبية فقد كلفت أموالاً طائلة حيث انفق عليها الداوية[٣٨] مبلغاً قدره مليون بيزنت[٣٩] كما انها كانت مصممة بطريقة تجعلها قادرة على الصمود بأقل عدد من المحاربين[٤٠] فقد وصفت بانها ((قلعة قل ان يوجد لها شبيه ، كأنما عليها من الذهب تمويه، لاتروم السحب الا من ضبب ، ولاتتجاوز الأرض الا وهي اذا رامت السماء ولايعوقها سبب))[٤١] وهذا ما جعل العماد الأصفهاني يقول عنها ((عش البلية))[٤٢] وفي ذلك دلالة على التمركز الصليبي فيها.

اما قلعة كوكب Belvoir ، فقد شيدت في سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م ، فوق قمة جبل شاهق بلغ ارتفاعه (٣١٢ م) عن سطح البحر وهي مطلة على بحيرة طبرية وتشرف على الأردن[٤٣] ونظراً لموقعها المرتفع فقد وصفها ابن شداد بأنها ((راسية راسخة شماء شامخة))[٤٤] وكانت من الحصانة والقوة حتى ان أبا شامة قال عنها ((كرسي الاسبتارية[٤٥]، ودار كفرهم ، ومستقر صاحب امرهم ، وموضع سلاحهم وذخرهم))[٤٦].

ومن القلاع الأخرى قلعة صبيبة Subeibe ، (قلعة النمرود اليوم) تقع على بعد حوالي (٢ كم) شرقي مدينة بانياس شيدها الصليبيون في سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م واستفادوا منها في التحكم بطريق صور دمشق واخضاع المسلمين في المناطق المجاورة للقلعة وكذلك في الدفاع عن بانياس[٤٧] كما انشأ الملك فولك قلعة صافيتا Blanche Garde سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ضمن سلسلة القلاع التي انشأها الملك بهدف الاحاطة بحامية مدينة عسقلان المصرية من كل جانب تمهيداً للاستيلاء عليها ، هذا فضلاً عن تشييد حصن الكرك Petra Desert في السنة ذاتها فوق قمة جبل شاهق للسيطرة على الطرفين الشمالي والجنوبي للبحر الميت[٤٨].

وفي عهد الملك بلدوين الثالث Baldwin III (٥٣٨ – ٥٥٩ هـ / ١١٤٣ – ١١٦٣م) شيدت قلعة غزة الواقعة في جنوب فلسطين سنة ٥٤٤ هـ / ١١٥٠ م ، وقيل عنها ((انفها شامخ في الهواء، وعطفها جامح عن اللواء ، فقد اوغلت في الجو مرتفعة وامضت في الليل ملتمعة))[٤٩].

أما في عهد الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (٥٦٩ – ٥٨١ هـ / ١١٧٤– ١١٨٥ م) فقد شيد الصليبيون حصناً جديداً فيما وراء نهر الاردن ، صمم طرازه الهندسي

على شكل مربع ، على مسافة (٢٠ كم) عن مدينة بانياس ، عرف بحصن بيت الاحزان Jacobs Ford ، وقد ارسل القاضي الفاضل كتاباً الى ظهير الدين بن العطار وزير الخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٦٦ – ٥٧٦ هـ / ١١٧٠ – ١١٨٠ م) في بغداد يبشره بتحرير حصن بيت الأحزان، وأشار إلى قوة هذا الحصن ومنعته وتفنن الصليبيين في بنائه والأموال التي أنفقوها في تشييده قائلاً ((وقد عرض حائطه الى ان زاد على عشرة اذرع وقطعت له عظام الحجارة ، كل فص منها سبع اذرع الى ما فوقها وما دونها وعدتها تزيد على عشرين الف حجر ، وفيما بين الجانبين حشو من الحجارة الصم ، وقد جعلت سقيته بالكلس الذي اذا أحاطت قبضته بالحجر مازجه ، وأوعز الى خصمه من الحديد بان لايتعرض لهدمه))(٥٠).

أما حصن عثليث Castrum Peregrinorum الواقع على ساحل البحر المتوسط بين مدينتي حيفا وقيسارية فقد شيده فرسان الداوية في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م ، بمساعدة عناصر لهيئة فرسان التيوتون(٥١) وكذلك عدد من الحجاج النصارى الذين تحمسوا للقيام بأي عمل ينصب في خدمة الوجود الصليبي في بلاد الشام(٥٢) وكان آخر معقل صليبي استسلم بعد استسلام جميع الصليبيين بالشام وخروجهم منه.

وبذلك انشأ الصليبيون نوعين من المعاقل، الأول : له تحصينات طبيعية أي أنها قلاع بنيت على مرتفعات اذ يشكل موقعها العامل الرئيسي في حصانتها ، وكان هذا النوع هو النوع المتبع تشييده أوربا وقد اتبعه الاسبتارية في بلاد الشام ، اما النوع الثاني: فهو القائم على الطراز البيزنطي الذي اتبعه الداوية في بلاد الشام أيضا(٥٣).

وقد عُني الصليبيون بإقامة القلاع والحصون، ولم تكن أهميتها مقصورة على الجانب العسكري في حماية حدود المناطق الصليبية بل كانت تقوم بوظائف اخرى، فبعض القلاع كانت مقرات للاقامة وايداع الغنائم والامدادات والاسرى ، بينما اتخذ قسم منها مراكز ادارية لادارة الاقطاعات الصليبية والإشراف على المناطق المحيطة بها في حين استخدم بعضها لترسيخ السيطرة الصليبية على مناطق ذات اهمية إستراتيجية واقتصادية(٥٤)، والأمثلة كثيرة على هذه المعاقل منها على سبيل المثال لا الحصر قلعة الفولة بفلسطين التي تقع على

الطرق التي تصل القدس بنابلس وطبرية ((وهي حصن حصين ، وركن ركين ، وفيها مشتاهم ومصيفهم ، ومقراهم ومضيفهم))(٥٥).

وكان للعامل الإداري دور بارز في انشاء قلعة غلافينوس في عهد الملك بلدوين الثاني Baldwin II (٥١٢ – ٥٢٦ هـ / ١١١٨ – ١١٣١ م)، إذ أنها كانت مركزاً للإدارة المحلية تسيطر على الاراضي الزراعية المجاورة ومنها تفرض ادارتها عليها(٥٦) اما العامل الاستراتيجي فكان له اهمية في تشييد حصن الكرك في عهد الملك فولك الانجوي لاجل التحكم في طريق القوافل المارة بين بلاد الشام ومصر لانه المنفذ الاساس لسورية وليكون شوكة ضد العرب المسلمين(٥٧) واشار الصوري الى الدور الإداري والاقتصادي والاستراتيجي الذي ادته قلعة الداروم الواقعة اقصى جنوب فلسطين، التي تم تشييدها في عهد الملك املريك الاول سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م، فمن الناحيتين الادارية والاقتصادية مكنت الملك املريك من تنظيم جمع الرسوم المالية السنوية من الفلاحين المسلمين القاطنين في القرى المحيطة بالقلعة ، فضلاً عن استحصال ضريبة من المسافرين المارين بالطريق الذي وقعت فيه القلعة ، اما من الناحية الإستراتيجية فقد امتازت القلعة بموقع مهم قريب من حدود مصر (٥٨) .

وقد شحن الصليبيون هذه المدن القلاع والحصون بكل ما تحتاج اليه من المؤن والاسلحة ، ففي سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ظفر السلطان نور الدين محمود زنكي (٥٤١– ٥٧٠ هـ / ١١٤٦ – ١١٧٤ م) بالصليبيين في الملاحة بين طبرية وبانياس ، ونالوا ((من خيولهم وعددهم وكراعهم واثاث سوادهم))(٥٩) وفي سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م، دخل المسلمون حصن بيت الأحزان ((وغنموا مائة الف قطعة من الحديد من جميع انواع الاسلحة، وشيئاً كثيراً من الأقوات وغيرها))(٦٠) وعندما حرر المسلمون طبرية سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م غنموا ((من الذخائر والاموال والعدد والأثقال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل والإنعام ما يزيد على التعداد))(٦١).

أما قلعة الفولة التي حررها الناصر صلاح الدين في مايو من السنة ذاتها ، بعد انتصاره في معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م فكان فيها كثيرٌ من المؤن والرجال

والعتاد ، كما وجد بها كثير من المخازن ربما كانت خاصة بتموين منتجات الحاصلات الزراعية للمناطق التابعة للقلعة[٦٢].

وعند تحرير اللاذقية سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م ، كانت مشحونة بـ ((الغلال والذخائر والات السلاح والدواب))[٦٣] وعندما تسلم الناصر صلاح الدين حصن كوكب بالامان من الاسبتارية سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م ، وجد المسلمون فيه ((ميرة عظيمة))[٦٤] كما اشترط صلاح الدين على الصليبيين عند تسلمه حصن دربساك[٦٥] بالامان سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م، ان يخرجوا منه ويدعوا كل ما فيه ((من خيل وعدة وذخيرة وغلة وقماش وذهب وفضة))[٦٦] وقدر ما في حصن بغراس[٦٧] عند تحريره في السنة ذاتها ((من الغلة تخميناً باثني عشر ألف غرارة[٦٨]))[٦٩].

وكانت هذه القلاع والحصون التي استوطنها الصليبيون تستمد قوتها من الغرب الأوربي ، فقد قامت المدن الايطالية الثلاثة جنوا والبندقية و بيزا بدور فاعل في ربط امارات الشام الصليبية بالغرب الأوربي ، كما بذلت المساعدة للصليبيين ، ولم تفعل ذلك بسبب وازع ديني وانما طلبت نظير ذلك امتيازات تجارية مهمة وحصلت عليها [٧٠] فقد سبقت جنوا المدن الايطالية في عرض خدماتها على الصليبيين ، فما ان وصل الصليبيون الى بلاد الشام وحاصروا القدس حتى وصل الأسطول الجنوي وامدوهم بالآت الحصار التي استخدمت في حصار القدس واحتلالها سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م وبذلك أسهم الاسطول الجنوي في حصار العديد من الموانئ الشامية وسقوطها مثل يافا وارسوف وقيسارية وعكا وبيروت[٧١]

كما ادركت البندقية ان استيلاء الصليبيين على مدن بلاد الشام في الحملة الصليبية الاولى سيفتح لها منفذاً الى تجارة الشرق، لذا سارعت البندقية الى مباركة الحركة الصليبية وتقديم كل مساعدة ممكنة للصليبيين في بلاد الشام[٧٢] ففي سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ابحر اهل البندقية ((بأسطول عظيم الى سوريا لكي يعززوا القدس والمناطق المجاورة)) ، وتألف هذا الاسطول البندقي من مئة وعشرين سفينة مشحونة بالمؤن والاسلحة[٧٣] وفي سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م، خرج الصليبيون من بلادهم لمساعدة

الصليبيين في الشام ونادوا ((في سائر بلادهم ومعاقلهم : النفير النفير واستصحبوا ذخائرهم واموالهم وخلوا بلادهم خالية شاغرة))[٧٤].

وبذلك أسهمت المساعدات الايطالية الفعالة للصليبيين في الاستيلاء على الموانئ الإسلامية في بلاد الشام ، وبفضل الإمدادات المتتالية بالفرسان والأسلحة والسكان تمكن الصليبيون من إقامة مستعمرات دائمة في بلاد الشام اذ كانت المدن التجارية الايطالية وسيلة الاتصال والإمداد بين الظهير الأوربي والمستعمرات الجديدة في المنطقة العربية[٧٥].

وهناك صورٌ مختلفة عن حياة الصليبيين الذين استوطنوا في بلاد الشام ، ففي مجال الحياة السياسية اعتمد الصليبيون النظام الوراثي في الحكم، فكانت ((عادتهم انه اذا مات ملك ينتقل ملكه إلى ولده، وسواء في هذا الميراث بين الذكور والإناث ويكون الملك بعد الابن اذ لم يخلف ابنا للكبرى فان توفيت من غير عقب كان للصغرى))[٧٦] فعلى سبيل المثال لا الحصر، بعد وفاة الامير جودفري البويوني تولى اخوه بلدوين الاول الحكم في مملكة بيت المقدس الصليبية بوصفه الوريث الشرعي للمملكة التي ظل يحكمها حتى وفاته في سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م [٧٧].

والحقيقة ان اعتماد الصليبيين النظام الوراثي في الحكم ادى بهم الى ان يولوا الحكم من ليس اهلاً له، ويظهر ذلك بعد وفاة الملك املريك الاول وتولي ابنه الملك بلدوين الرابع الذي كان مجذوماً، مما اثار سخرية العماد الاصفهاني فعلق بهذا الصدد قائلاً : ((لما هلك اماري ابن فلك... خلف ولداً مجذوماً، وكان مع الوجود معدوماً ، قد اعضل داؤه وايس شفاؤه، وسقطت اعضاؤه، وطال بلاؤه، فوضع الفرنج التاج على رأسه وتمسكوا مع امراضه بأمراسه))[٧٨] كما تطرق الصوري لحالة المرض الذي أصاب الملك بلدوين الرابع قائلاً : ((لاحظنا بمرور الزمن وجود علامات على مرض خطير للغاية من المحال شفاؤه))[٧٩].

ومن البديهي ان ذلك المرض أدى الى عدم قدرة الملك بلدوين الرابع على ادارة دفة الحكم في المملكة الصليبية بشكل فعلي بدليل مقالة ابن الأثير ((فلما توفي [املريك] خلف ابنا مجذوماً عاجزاً عن تدبير الملك ، فملكه الفرنج صورة لامعنى تحتها))[٨٠] وليس ذلك فحسب بل وصف ابن جبير حال ذلك الملك الذي احتجب عن الأنظار بسبب مرضه

وتفاديه للظهور في الأوساط العامة وقال : ((وهذا الخنزير صاحب عكة المسمى عندهم بالملك محجوب لايظهر قد ابتلاه الله بالجذام فعجل له سوء الانتقام ، قد شغلته بلواه في صباه عن نعيم دنياه))[٨١].

اما في مجال الحياة الدينية فقد حرص ملوكهم منذ الفترة المبكرة لاحتلالهم بلاد الشام بدءاً بعهد الامير جودفري البويوني على تعيين رجال الدين من القساوسة في الكنائس وأغدقوا عليهم الأموال والمنح ، فضلاً عن تخصيص منازل فخمة لهم في المنطقة المجاورة لكنيسة القيامة[٨٢] كما تبوأ رجال الدين مكانة رفيعة لدى الصليبيين ، وقد استغل هؤلاء هذه المكانة لبث الحماسة الصليبية في النفوس ، وتوصلوا إلى ذلك بأساليب عدة ، مثل رسم الصور والرؤى والأحلام وقرارات الحرمان وصكوك الغفران، كما حرص الصليبيون على اصطحاب رجال الدين معهم في جيوشهم اعتقاداً بهم[٨٣] وفوق ذلك كله كانوا يعتقدون بقدرتهم على معالجة المرضى وإبرائهم بدليل ما نقله ابن منقذ عن وليم بور William Burs ، حاكم طبرية اثناء مرافقته الأمير معين الدين انر نائب مجير الدين ابق حاكم دمشق (٥٣٤-٥٤٩هـ/١١٣٩-١١٥٤م) في زيارة من عكا إلى طبرية محدثنا في الطريق قال: ((كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر فمرض واشرف على الموت ، فجئنا إلى قس كبير من قسوسنا قلنا تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلانا ؟ قال : نعم ، ومشى معنا ونحن نتحقق انه اذا حط يده عليه عوفي))[٨٤].

وفي إطار الحياة الدينية استولى الصليبيون على عدد كبير من المساجد وحولوها إلى كنائس ، فقاموا بإجراء تغييرات على المعالم الإسلامية كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة لتخدم أغراضهم الدينية[٨٥] فحولوا المسجد الأقصى إلى معبد عرف بمعبد سليمان Salomones Palatium Tempelum[٨٦] وقسموه على ثلاثة أقسام، الأول: كنيسة، والثاني: مساكن لفرسانهم، والثالث: جعله الصليبيون مستودعاً لأسلحتهم والأطعمة والألبسة[٨٧] ومن البديهي ان الصليبيين فعلوا ذلك بهدف اهانة المسلمين وطعنهم في مقدساتهم الدينية.

ولم يكتف الصليبيون بذلك بل حولوا مسجد قبة الصخرة إلى كنيسة لاتينية وسموها معبد الرب Domini Tempelum أو معبد السيد المسيح (عليه السلام)[٨٨] ووضعوا

فوق قمتها صليباً كبيراً مذهباً، وزينت بالصور والتماثيل فضلا عن النقوش اللاتينية على جدرانها(٨٩) وأضافوا إلى مبنى الكنيسة مذبحاً وأماكن للتعميد وأماكن أخرى خصصت لإقامة رجال الدين الذين كانوا يتولون إقامة الطقوس والشعائر الدينية في الأعياد والمناسبات الخاصة بهم(٩٠) ولعل ذلك العمل عكس هدف الحركة الصليبية الرامية إلى جعل الأراضي المقدسة في فلسطين أرضا لاتينية تدين بمذهب روما الكاثوليكي وليس لهذا فحسب وإنما لثقتهم بان مذهبهم الكاثوليكي هو المذهب الصحيح.

ومن جانب آخر عُني الصليبيون ببناء عدد من الكنائس والأديرة في البلاد التي احتلوها لتلبي الحاجات الدينية للسكان الأوربيين الجدد، منها في القدس كنيسة الألمان في الجهة الشرقية من المسجد الأقصى، اما في حي الأرمن فقد وجدت كاتدرائية القديس جيمس(٩١) وقد وصف الرحالة الألماني ثيودريش كنيسة القديس جيمس إثناء رحلته للأراضي المقدسة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قائلاً : ((والكنيسة نفسها مستديرة، كما انها واسعة من أسفل، وضيقة من أعلى، وهي مدعمة بثمانية أعمدة ومزينة بالرسومات بأسلوب ممتاز))(٩٢).

كذلك أقام الصليبيون كنائس أخرى متفرقة من بلاد الشام منها كنيسة بئر يعقوب (عليه السلام) الواقعة على بعد حوالي (٣ كم) شرقي مدينة نابلس(٩٣) وكنيسة في اللد(٩٤) حملت اسم القديس جورج St . George(٩٥) فضلاً عن كنيسة لاتينية في سبسطية(٩٦) حملت اسم البشير يحيى (عليه السلام)(٩٧) وقد زينوها بالصور والتماثيل والنقوش اللاتينية، وفوق ذلك كله عُنى الصليبيون بهذه الكنائس التي أقاموها في المدن الشامية المحتلة، فعلى سبيل المثال أقاموا فوق الصخرة المشرفة ((كنيسة ومذبحاً، ولم يتركوا منها للأيدي المتبركة ولا للعيون المدركة ملمساً ولا مطمحاً، وقد زينوها بالصور والتماثيل، وعينوا بها موضع الرهبان ومحط الإنجيل))(٩٨).

كما عُنوا بزيارة الأماكن التي كانوا يعتقدون بقدسيتها الدينية وكان بعض هذه الأماكن يزار في مواسم معينة، فقد ذكر ابن منقذ انه عندما زار قبر يحيى (عليه السلام) في سبسطية دخل إلى كنيسة في باحة القبر وشاهد فيها ما يقارب من ((عشرة شيوخ رؤوسهم كأنها القطن المندوف وقد استقبلوا الشرق وفي صدورهم عصي في رؤوسها

عوارض معوجة على قدر صدر الرجل منهم ، وهم معمدون عليها وشيخ بين ايديهم يقرا))[٩٩] وقد وصف البنداري هذا المكان قائلاً ((وفيها [أي سبسطية] مشهد زكريا (عليه السلام) ... وهو متعبدهم المعظم والمشهد المكرم، وقد أحتجبوه بالإسفار وحلوه بالفضة والنضار، وعينوا له مراسم الزوار وقومته من الرهابين فيه مقيمة ولا يؤذن في الزيارة الا لمن معه هدية لها قيمة))[١٠٠].

اما ما يتعلق بالأديرة التي بناها الصليبيون فكانت كثيرة في بلاد الشام منها دير جبل صهيون Mount Sion في جنوب مدينة القدس[١٠١] على ان ذلك الدير لم تقتصر أملاكه على الممتلكات الواسعة في بلاد الشام في مدن عكا ويافا وصور وقيسارية وعسقلان بل كان له املاك وثروات هائلة في صقلية وايطاليا واسبانيا وفرنسا[١٠٢] كما انشأ الصليبيون دير آخر في المنطقة الواقعة بين القدس وعين كارم[١٠٣] عرف بدير الصليب[١٠٤] ومن المرجح ان تشييد ديري جبل صهيون والصليب كان في بداية الغزو الصليبي للأراضي المقدسة ، كذلك أقاموا ديراً لاتينياً في سبسطية أثناء حكم الملك بلدوين الاول[١٠٥] ومن بين الأديرة المهمة دير بيثاني Bethany[١٠٦] الذي شيد في عهد الملكة ميليسند جنوب القدس ، وقد أغدقت عليه الأموال والمنح[١٠٧].

ولم يكتف الصليبيون بإقامة الكنائس والأديرة بل قاموا بإنشاء أسقفيات لاتينية جديدة مثل أسقفية بيت لحم التي تم إنشاؤها بفضل جهود الملك بلدوين الأول ، وأسقفية كاثوليكية في سبسطية في عهد الملك بلدوين الثاني سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ، كما أقيمت أسقفية الخليل في سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م ، أيام الملك املريك الأول[١٠٨].

اما في مجال الحياة الاقتصادية، فقد كانت الزراعة الرافد الأول والحيوي للنشاط الاقتصادي الصليبي في بلاد الشام حيث حصل الصليبيون على حصة الأسد من الأراضي الزراعية نتيجة موت الكثير من مالكي الأراضي الزراعية من المسلمين أو هربهم واغتصاب الأمراء الصليبيين لأراضي الفلاحين المسلمين، كما ان الإبادة التي تعرض لها السكان في المدن والقرى اضطرت قسم من الزراع المسلمين الى مغادرة أماكنهم. ولمعالجة الوضع شجع الصليبيون سكان المنطقة ولاسيما النصارى على مواصلة زراعة السهول والوديان والجبال لأجل تأمين إمداد الكيان الجديد الطارئ بالمواد الغذائية اللازمة[١٠٩] ومن

اهم المحاصيل والمزروعات التي انتشرت زراعتها في بلاد الشام الحبوب [القمح والشعير] والبقول والخضراوات والفواكه والأشجار المثمرة كالزيتون والكروم والبلح وقصب السكر [١١٠].

وتعد الصناعة الرافد الثاني للنشاط الاقتصادي الصليبي في بلاد الشام الذي كان يعتمد على المنتجات الزراعية اعتماداً كلياً ، إلى جانب وجود صناعات معدنية وخشبية مثل صناعة السيوف والرماح هذا فضلاً عن ان الصليبيين جلبوا معهم إلى بلاد الشام مجموعة من النجارين والحدادين والبنائين وصناع الأحذية ومجموعة من الصاغة ، وعندما استولوا على بلاد الشام وجدوا كثيراً من الصناعات الرائجة فتعلموها من السكان المحليين وبرعوا في صناعات أخرى أتقنوها وأصبحوا خبراء في أمورها ، كصناعة السكر والمشروبات الروحية (النبيذ) والصابون والزجاج والمنسوجات وصناعة الفخار والإصباغ[١١١].

اما التجارة فكانت الرافد الثالث للحياة الاقتصادية للصليبيين ففي عهد السيطرة الصليبية على بلاد الشام ازدهرت بعض المدن اقتصادياً لممارستها النشاط التجاري ، فقد وصفت اللاذقية بأنها ((بلد التجار))[١١٢] وكانت عكا المركز الاقتصادي الرئيسي للصليبيين والتي شبهها ابن جبير بـ ((القسطنطينية في كونها مجتمع السفن وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الأفاق))[١١٣] في حين كان لموقع صور الجغرافي على الساحل الشامي دور كبير في شهرتها في المجال الاقتصادي التجاري[١١٤].

تلك هي ملامح حياة الصليبيين في بلاد الشام التي عكست خصائص اجتماعية وثقافية وعسكرية وسياسية ودينية واقتصادية موروثة عن الغرب الأوربي انتقلت معهم إلى الشرق.

هوامش البحث

(١) تاريخ الحملة الى القدس، ترجمة: زياد العسلي (عمان : ١٩٩٠ م)، ص ٤١، ٥١.

(٢) محمد بن محمد الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق : مصطفى فهمي الكتبي (مصر : د . ت) ص ١٦١ – ١٦٥.

(٣) عبد الرحمن بن اسماعيل، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت: د.ت) ١٨٥/٢ ؛ جمال الدين محمد بن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٥٣م) ، ٣٥٢/٢.

(٤) ستيفن رنسيمان، المدنية البيزنطية، ترجمة : صالح احمد العلي (بغداد : ١٩٥٦ م)، ص ٢١٧.

(٥) اسامة بن مرشد بن علي ، كتاب الاعتبار ، تحقيق : فيليب حتي (الولايات المتحدة: ١٩٣٠ م) ، ص ١٣٠.

(٦) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٦.

(٧) ابن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٣٢.

(٨) الروضتين ، ٢٠٣/٢.

(٩) ابن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٣٥.

(١٠) ابراهيم احمد العدوي ، المجتمع الاوربي في العصور الوسطى (القاهرة : ١٩٦١م)، ص ٦٣ -٦٤.

(١١) سعيد عبد الفتاح عاشور ، "ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام" (مجلة المستقبل العربي، بيروت: ١٩٨٧ م) ع ١٠٢، ص ٢٥، محمد الحافظ النقر "التغيرات الادارية والعمرانية والسكانية في مدينة القدس" بحث من أعمال مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الاسلامي الافرنجي (جامعة اليرموك ، الاردن : ٢٠٠٠ م)، ٦٧٣/٢.

(١٢) الاعتبار ، ص ٦٤ -٦٥ .

(١٣) الشارتري ، تاريخ الحملة ، ص ٨٢ .

(١٤) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية الاعمال المنجزة فيما وراء البحار ، ترجمة : سهيل زكار (بيروت : ١٩٩٠م)، ٤٩٤/١ ، ٥٠٢.

(١٥) هانز ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمه وعلق عليه: عماد الدين غانم، (ليبيا: ١٩٩٠م)، ص ٤١٩.

(١٦) محمد بن احمد الأندلسي ، رحلة ابن جبير (بيروت : ١٩٦٤م)، ص ١٦٧.

(١٧) الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٧٦ – ٧٧ ؛ الصوري، تاريخ الحروب، ١/٤٤٢ ، ٤٧٧، ٥٤٦.

(١٨) يوشع براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس ، ترجمة : عبد الحافظ البنا (القاهرة : ٢٠٠١ م) ، ص ٢١١.

(١٩) طه ثلجي الطراونة ، "المراة الصليبية ، دراسة في تاريخ المجتمع الفرنجي في بلاد الشام" (مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الاردن: ١٩٩٣ م)، م ٨ ، ١/٨٥.

(٢٠) رحلة، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

(٢١) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة : الباز العريني (بيروت : ١٩٦٧ م)، ج ٢ ، ص ٥٠٩ .

(٢٢) العماد الاصفهاني ، الفتح القدسي ، ص ٤١٧ .

(٢٣) ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني (بيروت ١٩٧٦م)، ص ٩٦ .

(٢٤) الصوري ، تاريخ الحروب ، ١/٥٤٦ .

(٢٥) رحلة ، ص ٢٧٧ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٨ .

(٢٧) نبيلة إبراهيم مقامي ، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (القاهرة : ١٩٩٤ م) ، ص ٦٨ .

(٢٨) ر. سي سميل ، الحروب الصليبية ، ترجمة : سامي هاشم (بيروت : ١٩٨٢ م) ص ٥٩ ، ٣١٥ .

(٢٩) ادوار بروي ، القرون الوسطى تاريخ الحضارات العام (بيروت : ١٩٦٥ م) ٣/٣١٥.

(٣٠) ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .
(٣١) محمد بن علي بن شداد ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق : سامي الدهان (بيروت : ١٩٦٣ م) ، ١٥٢/٢.
(٣٢) مقامي ، فرق الرهبان ، ص١٧.
(٣٣) محمد بن محمد ، الكامل في التاريخ (بيروت : ١٩٦٦ م) ، ٣٢٨/١١.
(٣٤) محمد عطا الله دكروب "صفحات متنوعة من تاريخ تبنين " منشور على شبكة الانترنيت www.Tibneen.com
(٣٥) ماسينيوس، مادة ((شوبك)) دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة : احمد الشنتناوي واخرون (القاهرة : ١٩٦٩ م) ، ٤٣٨/١٣.
(٣٦) محمد مؤنس عوض ، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية (عمان : ٢٠٠٤ م)، ص ٩٢-٩٣ ؛ سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (الإسكندرية : ١٩٩٠ م) ، ص٩٤ .
(٣٧) الطراونة ، مملكة صفد في عهد المماليك (بيروت : ١٩٨٢ م) ، ص ٨٤ .
(٣٨) الداوية : نشأت هيئة الداوية في عهد الملك بلدوين الثاني ، في مدينة القدس بعد استقرار الصليبيين في بلاد الشام وظهور مشكلة الطرق غير الآمنة لحجاجهم ورعاياهم القادمين الى القدس نتيجة هجمات المسلمين عليها وسطو قطاع الطرق عليهم بغرض السلب والنهب ، ثم أصبحت الهيئة فيما بعد تشكل اكبر هيئة عسكرية صليبية في بلاد الشام، عرفت باسم هيئة فرسان المعبد او فرسان الداوية. ينظر : مقامي ، فرق الرهبان ، ص ١٦–١٧ .
(٣٩) البيزنت او البيزنط : عملة ذهبية بيزنطية سميت بهذا الاسم نسبة الى مدينة بيزنطة (القسطنطينية) وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن ٧ هـ / ١٣ م وهي تعادل حوالي ثلاثة غرامات ونصف غرام من الذهب ؛

ينظر : جوزيف نسيم يوسف ،العدوان الصليبي على مصر ، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكو ، ط ٢ (بيروت : ١٩٨١ م)، ص ٢١٦ ، هامش رقم (٢).

(٤٠) مقامي ، فرق الرهبان ، ص ٦٨ ، ٨٨ .

(41) B. lewis ," An Arabic Account of the Province of safed" in BSOAS: 1953 , vol . xv ,p 480 .

(٤٢) البرق الشامي ، تحقيق : مصطفى الحياري (عمان : ١٩٨٧ م) ، ١٧٧/٣.

(٤٣) شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت : ١٩٥٧م)، ٤٩٤/٤.

(٤٤) الاعلاق الخطيرة ، ١٦١/٢ .

(٤٥) الاسبتارية : تعد هيئة الاسبتارية من اقدم الهيئات الدينة الحربية التي شهد الوجود الصليبي في بلاد الشام قيامها ويعود الفضل في تاسيسها الى مجموعة من تجار مدينة امالفي الايطالية وذلك عندما قامت في سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م بانشاء مستشفى للعناية بالحجاج النصارى الغربيين القادمين الى الاراضي المقدسة ، كان اسلوب حياتها قائماً على مبادئ الفقر والعفة والطاعة بل ونذروا انفسهم لقتال المسلمين . ينظر : عوض ، تاريخ الحروب ، ص ٣١ – ٣٥ .

(٤٦) الروضتين ، ١٣٦/٢ .

(٤٧) سميل ، الحروب الصليبية ، ص ٢٢٣ ؛ فينر ، القلاع ، ص ٥٢ ؛ مقامي ، فرق الرهبان ، ص ٨٤

Robin Fedden and John Thomson , Crusader Castles (London:1957), P25 .

(٤٨) الصوري ، تاريخ الحروب ، ٧٢٨/٢ – ٧٢٩ ، ١١٠٦ .

(٤٩) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٩٧ .

(٥٠) مجير الدين عبد الرحيم ، رسائل القاضي الفاضل ، قام بدراسته وتحقيقه : علي نجم عيسى (الموصل : ٢٠٠١ م) ، ص ١٠٣.

(٥١) هيئة فرسان التيوتون : وهي هيئة تكونت سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ، ذات طابع عسكري خيري في بادئ الامر ، وقد نشأت هذه الهيئة بشكل رسمي ومعترف بها بين الصليبيين اثناء الحصار الصليبي لمدينة عكا سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ، فقد قام بعض الحجاج النصارى الالمان المشتركين في الحصار وهم من بلدتي برمن Bremen ولوبك Lubeck بالاتفاق معا على رعاية المرضى والجرحى من الحجاج الالمان، وسرعان ما اعترف البابا كلستين الثالث Celestin III بالهيئة الالمانية الجديدة على ان يكون قانونها الكنسي والحربي مطابقاً لقانون هيئة الداوية وان يكون قانونها الخاص بالمستشفى والاعمال الخيرية مطابقاً لذلك القانون الذي سارت عليه هيئة الاسبتارية، ينظر: مقامي ، فرق الرهبان ، ص ٢١.

(٥٢) عوض ، تاريخ الحروب ، ص ٨٩ ؛ فينر ، القلاع ، ص ٩٢– ٩٣ .

(٥٣) مقامي ، فرق الرهبان ، ص ٧٣ – ٧٤ ، ٩٣ .

(٥٤) سميل ، فن الحرب عند الصليبيين ، ترجمة : محمد وليد الجلاد (دمشق : ١٩٨٥ م)، ص ١٠٦– ١٠٨.

(٥٥) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٩٧ .

(٥٦) سميل ، الحروب الصليبية ، ص ٥٩ ؛ ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق، ترجمة : الياس شاهين (موسكو : ١٩٨٦ م) ، ص ١٣٦ .

(٥٧) ستانلي لين بوول ، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ، ترجمة : فاروق سعد أبي جابر (القاهرة : ١٩٩٥ م) ، ص١١٩.

(٥٨) تاريخ الحروب ، ٩٤٩/٢–٩٥٠.

(٥٩) ابو شامة ، الروضتين ، ١٠٨/٢ .

(٦٠) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٨٢/٢ .

(٦١) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص ١٧، ابن كثير ، البداية ، ٢٧٨/١٢.

(٦٢) ابو شامة ، الروضتين ، ٨٧/٢ .

(٦٣) المصدر نفسه ، ٩٢/٢.

(٦٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٨٥ .
(٦٥) حصن دربساك : حصن يقع بالقرب من امارة انطاكية في الاتجاه الشمالي الشرقي من حصن بغراس . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٦٤٦/٢.
(٦٦) ابن واصل ، مفرج الكروب ،٢٦٧/٢ .
(٦٧) حصن بغراس : مدينة وحصن خلف جبال اللكام وكان بينه وبين انطاكية حوالي (١٩كم) وهو على يمين القاصد من حلب. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٤٦٧/١.
(٦٨) غرارة : مكيال دمشقي للحنطة ، ويبلغ وزن الغرارة الواحدة حوالي (٢٠٤، كغم) من القمح. ينظر: فالترهنتس، ترجمة: كامل العسلي، ط ٢ (عمان : ٢٠٠١ م)، ص ٦٤.
(٦٩) ابو شامة ، الروضتين ، ١٩٣/٢.
(٧٠) براور، الاستيطان الصليبي، ص ١١١ ؛ سهير نعينع "الاهمية التجارية لمدينة صور زمن الحروب الصليبية والنشاط التجاري فيها" (ضمن اعمال المؤتمر الثاني لتاريخ مدينة صور ، صور : ١٩٩٧ م). م ١ ، ص ٨٩ – ٩٠.
(٧١) حاتم عبد الرحمن الطحاوي " الصليبيون في بلاد الشام صفحات من النشاط الاقتصادي " ، (مجلة الاجتهاد ، بيروت : ١٩٩٦ م) ، ع٣٣ ، ص ٩٢.
(٧٢) عفاف سيد صبرة ، العلاقات بين الشرق والغرب ، علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠ – ١٤٠٠ م (القاهرة : ١٩٨٣م) ، ص ١٩ .
(٧٣) الشارتري ، تاريخ الحملة ، ص ١٩٤ .
(٧٤) ابو يعلي حمزة بن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: اميدوز (بيروت : ١٩٠٨ م)، ص ٤٦.
(٧٥) الطحاوي ، " الصليبيون " ، ص ٩٥ .
(٧٦) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص ١٣ .
(٧٧) الشارتري ، تاريخ الحملة ، ص ١٠٣ ؛ الصوري ، تاريخ الحروب ، ٤٧٧/١.

(٧٨) الفتح القسي ، ص ١٣ .
(٧٩) تاريخ الحروب ، ٩٧١/٢ .
(٨٠) الكامل ، ٤١٩/١١ .
(٨١) رحلة ، ص ٢٨٢ .
(٨٢) الصوري ، تاريخ الحروب ، ٤٥٦/١.
(٨٣) شفيق محمد الرقب "صور من الحياة الاجتماعية للفرنجة في النثر الفني زمن الحروب الصليبية" (عمان : ١٩٩٦ م) ع ٢ ، م ٢٣ ، ص ٣٣٨ .
(٨٤) الاعتبار ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .
(٨٥) مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين (بيروت : ١٩٧٥ م) ، ج ٩ ، ق ٢ ، ص ١٩٩؛ جان ريشار "تكوين مملكة القدس اللاتينية وبنيتها" ضمن كتاب الصراع الاسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى، ترجمة: هادية شكيل دجاني (بيروت: ١٩٩٤م)، ص ١٩٢.
(٨٦) عبد العزيز حميد صالح "الحرم الشريف في ظل الغزو الصليبي" (مجلة المورد، بغداد: ١٩٨٧ م)، م ١٦، ع ٤، ص ١٦١.
(٨٧) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٥١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٥٥١/١١.
(٨٨) ثيودريش، وصف الاماكن المقدسة في فلسطين ، ترجمة وتحقيق ودراسة : البيشاوي وأخر (عمان : ٢٠٠٣ م) ، ص ٧٩ .
(٨٩) ابن الاثير ، الكامل ، ٥٥١/١١ ؛ ابو شامة ، الروضتين ١١٣/٢.
(٩٠) الشارتري ، تاريخ الحملة ، ص ٧٢ .
(٩١) النقر ، "التغيرات الادارية" ، ص ٦٦٧ .
(٩٢) وصف الاماكن ، ص ٨٤ .
(٩٣) دانيال الراهب ، رحلة الحاج الروسي في الاراضي المقدسة ١١٠٦ – ١١٠٧ م، ترجمة : سعيد البيشاوي واخر (عمان : ١٩٩٢ م)، ص ١٠٧، هامش رقم (٥).

(٩٤) ابن الاثير، الكامل ، ٧٢/١٢ ، واللد : قرية قرب مدينة القدس. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٥/٥.

(٩٥) دنيال الراهب، رحلة الحاج الروسي، ص ٤٩؛ ثيودريش، وصف الاماكن، ص ١٢٢.

(٩٦) سبسطية : وهي بلدة من نواحي فلسطين تبعد حوالي (٤٨ كم) عن القدس. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٨٤/٣.

(٩٧) ابراهيم شوكة ، تحقيق سورية ولبنان وفلسطين والاردن من نزهة المشتاق في اختراق الافاق للشريف الادريسي (مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد : ١٩٧٩م)، ص ٨؛ محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق : حسن حبشي (القاهرة : ١٩٦٨ م)، ص ١٩٠ .

(٩٨) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص٢٦ ، ١٤١ .

(٩٩) الاعتبار ، ص ١٤٧.

(١٠٠) قوام الدين ابو الفتح علي، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي (القاهرة: ١٩٧٩ م)، ص ٣٠٣ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ٨٨/٢.

(١٠١) شوكة ، تحقيق سورية ، ص ٧ .

(١٠٢) ارنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني (بيروت : ١٩٦٧ م)، ص ٦٦ .

(١٠٣) عين كارم: قرية من قرى فلسطين المشهورة سميت بهذا الاسم نسبة الى عين ماء قريبة منها كانت تسمى عين كارم وهي تقع على بعد حوالي (٧ كم) جنوب غرب القدس. ينظر: حسين لوباني الداموني، معجم اسماء المدن والقرى الفلسطينية (رام الله : ٢٠٠٣ م) ، ص ١٨٥.

(١٠٤) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج٨ ، ق٢ ، ص ٥٩ .

(١٠٥) دانيال الراهب ، رحلة الحاج الروسي ، ص ١٠٩ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ٨٨/٢.

(١٠٦) بيثاني : وهي قرية ريفية صغيرة تقع على بعد حوالي (١٢ كم) جنوب شرق القدس. ينظر: دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي، ص ٦٣ .

(١٠٧) رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ٤٩٩/٢ ؛

Rene Grousset, Histoire des croisades et de Royaume de jersalem, (paris: 1935) vol . II . P . 161 .

(١٠٨) البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص١٤٢ ، ٢٣٣ .

(١٠٩) الطحاوي ، " الصليبيون " ، ص ١٢٠ .

(١١٠) البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٣٩١ .

(١١١) المصدر نفسه ، ص ٤٢٥ .

(١١٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢٥٩/٢ .

(١١٣) رحلة ، ص ٢٧٦ .

(١١٤) الصوري ، تاريخ الحروب ، ٥٤٦/١ .